تقرير

شوقي عشقوتي

الشرع محاصر بأحداث داخليّة وضغوط خارجيّة الإستراتيجيا الإسرائيلية في جنوب سوريا

لم تستتب الاوضاع في سوريا التي غادرت حقبة الحرب من دون ان تدخل مرحلة الاستقرار. تنزلق سوريا اكثر فاكثر في مشروع تفكيك الدولة على نار "الاسلام المتشدد" وصراع النفوذ الاسرائيلي والتركي على الارض السورية، في وقت يتراجع زخم الدعم الاوروبي، وتلوح واشنطن بورقة الانسحاب المتدرج، لكن يبقى ان مكمن الخطر الابرز هو المشروع الاسرائيلي

هذا المشروع يشق طريقه بالقوة العسكرية منذ اليوم الاول لسقوط نظام الاسد، والذي يتخذ من سوريا منصة لشرق اوسط جديد. فيما تواصل اسرائيل مساعيها لتحقيق اهدافها الاستراتيجية الطويلة الامد في سوريا، والتي تتمحور حول فصل الجزء الجنوبي من الجغرافيا السورية، عن مركز السلطة في دمشق. وهي استراتيجيا لا تتأثر بطبيعة الحال بهوية النظام الحاكم او قوته، بل تهدف خصوصا الى تمهيد الطريق للسيطرة على هذا الجزء من سوريا بشكل مباشر او غير مباشر، اذ تشير العمليات العسكرية التي نفذت في الاشهر والاسابيع الماضية، ومن ضمنها الهجمات الجوية المكثفة وتدمير البنى التحتية العسكرية، بوضوح الى ان اسرائيل تعمل على افراغ تلك المنطقة من سيطرة المركز السوري، ومنع الاخير من استعادة نفوذه عليها لاحقا.

وفي إطار مساعيها للسيطرة على الجنوب، قامت اسرائيل بتوسيع وجودها العسكري هناك، مما فرض واقعا جديدا، شمل الاستيلاء على مواقع استراتيجية، وتنفيذ توغلات برية، وهو ما تظن انه سيسهل عملية اغراء الطائفة الدرزية وبقية السكان المحليين بإعلان استقلالهم تحت رعاية اسرائيلية. والواقع ان تل ابيب لا تعمل فحسب على تدمير القدرات العسكرية للجيش السوري في الجنوب، بل تحرص ايضا على ضمان عدم عودة قوات النظام او الفصائل الرديفة له الى المنطقة مستقبلا، مما يعني انها تقوم بتحضير الميدان لترسيخ امر واقع جديد، يتمثل في "كانتون" منفصل عن النظام، حتى لو لم يتم الاعلان عنه رسميا ككيان مستقل.

وتؤكد اسرائيل انها ستبقى في المنطقة لفترة طويلة وغير محددة الزمن، مع التركيز على انه حماية سكان هضبة الجولان والجليل من اي تهديدات محتملة من قبل الجولاني او الجماعات الجهادية الاخرى المرتبطة به، اضافة الى بدء دمج افراد الطائفة الدرزية السورية في سوق العمل داخل المستوطنات الاسرائيلية في الجولان المحتل، في خطوة تهدف الى تعزيز العلاقات مع المجتمع المحلي وتغيير ولاءاته. وتريد اسرائيل ايجاد مبرر لبروز عدائية النظام لها، بما يسهل عليها الاستمرار في تنفيذ استراتيجيتها الطويلة الامد في سوريا. والهدف النهائي هو انشاء منطقة ذات طابع خاص في الجنوب بعمق 80 كيلومترا داخل الاراضي السورية، تكون معزولة عن النظام وتحت النفوذ الاسرائيلي المباشر او غير المباشر.

وهذه المنطقة ربما تصبح مثابة "كانتون" مشابه للمناطق الكردية في شمال سوريا، حيث يتمتع السكان بقدر من الحكم الذاتي، تحت نفوذ قوى خارجية، وان جرى الحديث عن اتفاق "مصالحة وضم"، مشكوك في امكان تنفيذه، بين الاكراد ودمشق.

يرى مراقبون ان التدخل الاسرائيلي العلني رسالة سياسية تتجاوز حدود حماية الدروز التي تتحدث عنها اسرائيل، الى تكريس مشروع تقسيم سوريا. وفي هذا السياق، جاءت تصريحات وزير المالية الاسرائيلي بتسلئيل سموتريتش، اذ قال صراحة ان اسرائيل لن توقف الحرب قبل تقسيم سوريا، وانهاك حزب الله، ومنع ايران من امتلاك سلاح نووي. وعليه، ينظر الى ملف حماية الدروز، اسرائيليا، كإحدى ادوات الاستثمار في التحديات التي تواجهها الاقليات، تمهيدا لتحويل خيار التقسيم الى مطلب شعبي، لا مجرد طرحه من جهات سياسية او دينية مستفيدة او موالية لإسرائيل.

تسعى اسرائيل الى فرض واقع يتناسب مع مصالحها في الجنوب السوري، وهي تعمل في المدى الفوري على ترسيخ وجودها وسيطرتها ومنع النظام الجديد من التحرك جنوبا وطرده الى خارج المنطقة، في مسعى يمهد الطريق امام استقلال الاخيرة تحت رعايتها. في الوقت نفسه، تنتظر اسرائيل ما ستؤول اليه المقاربة الاميركية للساحة السورية. مع العلم ان الموقف الاميركي من الساحة السورية ومستقبلها متأرجح، ويميل الى الدفع نحو احداث تغييرات دراماتيكية في موقع البلد الجيوسياسي في المنطقة، عبر الحاقه باتفاقات

التطبيع، الامر الذي يوجب تغيير المقاربة الاسرائيلية لاحقا.

في سياق هذه الاستراتيجيا، تسعى اسرائيل الى فرض شروط سياسية وامنية على القيادة السورية الجديدة. تدخل هذه الشروط في إطار تغيير الشرق الاوسط الذي اعلنه رئيس وزرائها بنيامين نتنياهو. وقد ارسلت عبر قنوات الوساطة لائحة مطالب وشروط للقيادة السورية الجديدة تتضمن الاتي:

1- اعلان منطقة الجنوب السوري منطقة خالية من السلاح، والعمل على نزع السلاح الموجود فيها.

2- ضمان حرية الحركة للجيش الاسرائيلي على عمق يراوح بين 35 و40 كيلومترا داخل الاراضي السورية في حال اشتبهت تل ابيب بأي تهديد وشيك او مصدر للخطر.

3- بحث نقل نصف مليون فلسطيني من قطاع غزة الى مناطق الشمال والشرق السوريين.

4- الابقاء على القواعد العسكرية الروسية في منطقة الساحل السوري من اجل ايجاد توازن بين روسيا وتركيا في سوريا. في هذا الاطار، اوفد نتنياهو احد مساعديه الى موسكو لحث الكرملين على البقاء في سوريا وعدم الخروج من منطقة الساحل، اذ تعتبر تل ابيب ان انسحاب موسكو من المنطقة سيعزز نفوذ تركيا في البحر المتوسط، وسيعزز تلقائيا نفوذها في الشمال اللبناني.

5- التطبيع الكامل للعلاقات بين دمشق وتل ابيب، من دون اي شرط مسبق بما يتضمن عدم المطالبة بالجولان المحتل او القمم المحتلة في الجزء السوري من جبل الشيخ، مقابل خفض التصعيد العسكري والسياسي.

ما يثير القلق ان اسرائيل بعد السابع من تشرين الاول 2023، باتت تتعامل مع الشرق الاوسط كساحة قتال مفتوحة من دون حدود. وليس تفصيلا ان نتنياهو يصر على اعتبار سوريا ضمن "الجبهات السبع" التي يقاتل عليها (وهي: قطاع غزة، والضفة الغربية، لبنان، سوريا، العراق، اليمن وايران)، وذلك على الرغم من سقوط نظام بشار الاسد وانسحاب ايران وفصائلها من سوريا. وهذا

> **سوريا ليست اولوية اميركية وترامب يخطط لانسحاب متدرج**

يرفع منسوب القلق من ان تقدم تل ابيب على غزو بري لمناطق واسعة من جنوب سوريا حتى مشارف دمشق لفرض لائحة الشروط على القيادة السورية. وليس تفصيلا عابرا ما نشر عن مصادقة الحكومة الاسرائيلية على مشروع قانون يسمح للجيش باستدعاء 400 الف جندي اضافي بحلول 29 ايار المقبل. فاستدعاء هذا العدد الهائل من الجنود بعد تنصيب ايال زمير (السكرتير العسكري السابق لنتنياهو) رئيسا للأركان، وهو الاتي من سلاح المدرعات، في سابقة في تاريخ رئاسة الاركان الاسرائيلية، لا يدل على ان هذا الحشد هو لغزة، بل لعملية في بقعة جغرافية واسعة يحتمل ان تكون سوريا.

هذه الاستراتيجيا الاسرائيلية التي "تصارع" مشروعا تركيا متقدما في سوريا يجري في ظل تطورين مهمين: الاول يتعلق بانسحاب اميركي محتمل ومتدرج من سوريا، والثاني يتعلق بموقف اوروبي "متذبذب" حيال سوريا وقيادتها الجديدة.

مشروع الانسحاب الاميركي يأتي ضمن توجه لتخفيض عدد القوات في سوريا، وضمن تكتيك اميركي قد يسمح لقوات دمشق بالدخول الى ارياف دير الزور الشمالية والشرقية التي تضم معظم ابار النفط والغاز في المحافظة، لافتة الى وجود مخطط اميركي قد يسمح بتسليم دمشق ريف دير الزور والرقة والطبقة، في مقابل السماح بحكم ذاتي للاكراد في محافظة الحسكة ومدينة كوباني. والواقع ان الخطوة الاميركية تأتي في ظل ترتيبات تقوم بها الولايات المتحدة على الارض، من خلال الضغط على كل من الحكومة السورية و"قوات سوريا الديمقراطية" (قسد)، لتنفيذ اتفاق العاشر من اذار، (الموقع بين القائد العام لـ"قسد"، مظلوم عبدي، والرئيس في الفترة الانتقالية، احمد الشرع)، والتي اتبعتها برسالة خطية الى الادارة السورية، تضمنت مجموعة من المطالب المتعلقة بضمان امن اسرائيل واخراج الفصائل الفلسطينية من سوريا، وعدم تسليم الجهاديين الاجانب اي مناصب قيادية في الجيش السوري او الحكومة السورية.

ويبدو، في هذا السياق، ان واشنطن تريد استمالة حكام دمشق الجدد، وصولا الى جرهم الى توقيع اتفاقية سلام مع اسرائيل، وضمان اخلاء سوريا من اي تواجد فلسطيني من الممكن ان يشكل خطرا على اسرائيل في المستقبل.

بعد خروج ايران وتراجع الدور الروسي، الارجح ان مكانة سوريا تراجعت في الحسابات الاستراتيجية لإدارة ترامب، فبات في امكانها توكيل شؤونها لفاعلين اقليميين ودوليين في المرحلة المقبلة، على ان تتولى بنفسها ادارة العلاقة بين تركيا واسرائيل، مع احتفاظها بأوراق قوة مثل التحكم بسلاح العقوبات وقاعدة التنف... فريق الرئيس ترامب للامن القومي لا يوجد فيه اشخاص يولون الملف السوري اهمية، خارج سياق الحرب على الارهاب وامن اسرائيل، وخصوصا بعد خروج سوريا من ◄

دائرة النفوذ الايراني. وترامب الذي يرغب بتطبيع العلاقات مع روسيا، قد لا يمانع ان يكون لروسيا دور متجدد في مستقبل سوريا من اجل الحفاظ على التوازنات في المنطقة، والحد من تعاظم النفوذ التركي الذي يقلق بعض المحيطين بالرئيس الاميركي. حتما هذه الانباء لا تسر كثيرا اسرائيل التي اعربت مؤسستها الامنية عن قلقها من حصول الانسحاب الاميركي اعتقادا منها بأنه "يفتح شهية تركيا" للسيطرة على المزيد من الاصول العسكرية الاستراتيجية في المنطقة، ويجعلها اللاعب الاقوى في سوريا والمنافس الفعال لها اقليميا.

التلويح الاميركي بالانسحاب يوازيه تلويح اوروبي بإعادة النظر في حجم ومستوى الدعم المقدم للسلطة السورية الجديدة. وبعدما كان هذا الموقف واضحا ومتحمسا لدعم الشرع في "حلته الجديدة وخطابه المنمق"، فانه بات يتسم بالتردد ويخضع للمراجعة، وبات الدعم الاوروبي مشروطا بقيام عملية سياسية تشمل الجميع وتشكيل حكومة جامعة، وانفتاح الحكومة على كل مكونات المجتمع السوري وحماية الاقليات.

في الواقع، "فرمل" الاوروبيون اندفاعتهم

> **اسرائيل ارسلت لائحة شروط ومطالب الى الشرع**

واجراءاتهم الداعمة للادارة السورية الجديدة، والذين تأملوا خيرا في التحولات التي طرأت على "ابو محمد الجولاني" وتحوله الى احمد الشرع، وصلوا الى مرحلة من الخذلان والحرج من سلوك السلطة الحالية واخطائها، التي لم يعد من الممكن التغاضي عنها، حتى ان اغلب الديبلوماسيين والامنيين الاجانب، والذين راهنوا خلال الاشهر الماضية على ذكاء الشرع، باتوا يرددون ان "السيناريو الذي كنا نخشاه يحصل الان".

وسواء كانت اعمال العنف والفوضى من جماعات تمون عليها سلطة الشرع او لا تمون، فان النتيجة واحدة، وهي الفوضى وضعف قدرة الرئيس الانتقالي على السيطرة على الفصائل وضبطها من جهة، وتفشي الافكار المتطرفة لدى القوات الامنية التابعة له والقوات التي يشكلها من متطوعين حديثا من جهة ثانية، بينما يجهد جيش المشايخ والفقهاء لإحداث تغييرات جذرية بشكل متسارع في بنية المجتمع السوري.

وباستثناء الاتراك والبريطانيين، صار التعويل الغربي على تحولات ايجابية في سلوك الشرع نادرا. وعلى العكس من ذلك، زادت مخاوف دول غربية كثيرة - الى جانب روسيا والولايات المتحدة - من مثل فرنسا واسبانيا وايطاليا واليونان من ان مصير سوريا هو الفشل والسقوط في الفوضى، مع تكرار التوترات الطائفية وهيمنة المتطرفين السوريين والاجانب على الارض امنيا وعسكريا، بينما يتولى الشرع ووزراؤه محاولة تجميل الحقائق.

في الواقع وجد الشرع نفسه امام صراع متعدد الاطراف، داخلي وخارجي، يهدد بشكل مباشر الكرسي الذي وصل اليه من جهة، وشكل ومستقبل سوريا التي اصبح يحكمها من جهة اخرى.

منكن وفيكن
من الـ 1953
لبنانيّ
أبًا عن جدّ
Le Charcutier